



تستعيد مخيلة الكاتب اللبناني فوزي زيبان في روايته "أوروبل في الضاحية الجنوبية" (دار الآداب، 2017) رواية "1984" لجورج أوروبل، حيث يجد نفسه أمام مشهد الناس في مقاهي الضاحية الجنوبية لبيروت، وهم يحدقون في أمين عام حزب الله حسن نصرالله أثناء ظهوره على شاشات التلفزيون. وهي التي دائماً ما أشعر بعلاقة بينها وبين مفهوم الأخ الكبير الذي تدور حوله رواية أوروبل الشهيرة.

يلتقط زيبان في روايته تفاصيل من حياة شرائح المهمشين في الضاحية الجنوبية. بحيث نرى مجموعة من المشاهد لفقراء يعملون في مهن بسيطة مثل بيع المياه الصالحة للشرب، أو تأجير الأراكيل وتوصيلها إلى البيوت والدكاكين، أو بيع البيرة الحلال، ومن يديرون هذه الأعمال. يختار الكاتب لحظات زمنية من حياة هؤلاء وما يتخلله من هروب بعضهم إلى الحشيش والمخدرات. أيضاً يظهر الملل الذي يصيبهم من خطابات حسن نصرالله وصور الشهداء التي تحتل كل زوايا الضاحية.

لا يحاول الكاتب رسم تاريخاً لشخصياته سواء من ناحية التطور النفسي أو السياق الاجتماعي مكتفياً بالتقاطاته من الحياة اليومية. وبعد إغال في النص، يظهر الخيط المشترك بين الشخصيات كلها، فهم بلا طموح أو أمل في شيء حتى عند "حمودي"، الشخصية الأساسية في العمل. تظهر اللهجة المحكية بشكل لافت في لغة الكاتب. لغة المنطقة والشارع بلا أي تغييرات كبيرة. اختار زيبان أن يكتب بلغة ثلام دائماً من قبل النقّاد. ربما من خلال استخدامه هذا أراد أن يعطي عمله بعداً أكثر التصاقاً بالواقع الذي يحكي عنه.

ملفت أيضاً كون الرواية لا تقوم على حبكة تقطع النص أثناء عملية قراءته. وإنما هي بنية مفتوحة ترغب في هذه الإطالة السريعة على الشرائح التي تقصّدها. وهذه الفئة من الشباب المهمشين، لا توفر لهم وظائفهم أي ضمان اجتماعي أو دخل ثابت.

الشخصية الرئيسية في النص "حمودي" يعيش مع أمه العجوز بعد أن ماتت أخته التي كانت تمثل له الكثير. يسعى حمودي لأن يجد عملاً يخرج من حالة الحزن هذه، لكن وبسبب بعض الأشخاص ذوي النفوذ، أرغم على ترك عمله في توزيع المياه الصالحة للشرب، فاضطرّ حينها إلى الالتحاق بالعمل عند الحاجّ رضا صاحب مقهى تُوجّر الأراكيل وتقدم خدمات أخرى سرية.

أوروبل

وفي الفضاء المكاني لعمله الجديد، يلتقي حمودي بزملاء لهم ملامح مختلفة، وممارسات تتوخى نسيان الوضع الصعب الذي يعيشون فيه. وإلى جانب الحاجّ رضا، هناك الرئيس البنزاكسول المشرف على المقهى وتوزيع الشغل على الشبان، وتلقّي طلبات الزبائن. ومن حين لآخر، يتجمع الشباب العاملون في سهرة يستهلكون فيها الحكي عن أسرار جنسية، وبلعون الأقراص المخدرة التي اخترعها حسن النووي

وفي فضاء يطل عليه سماحة السيد وخطبه الحماسية، وصور شهداء المقاومة؛ "بالإضافة إلى الصورة الضخمة لسماحة السيّد، والممتدة على طول أربعة طوابق في أحد الأبنية المتاخمة لمبنى حمودي، شدّت نظره أرتال صور الشهداء المعلقة على أعمدة الكهرباء. فهو حفيظ تقاسيم هذه الوجوه الجميلة وملامحها أكثر من وجهه هو، حتى أنه لطالما شاهد أصحاب هذه الوجوه في مناماته".

هذا العنصر في تكوين النص الروائي من ناحية الفضاء الذي يشير إلى أجواء أيديولوجية بعينها في لبنان، هو ما يعطي للعمل أبعاداً ذات دلالات قائمة على المفارقة والتناقض، من ناحية تناول بيروت المدينة من جانب تم تجاهله في أغلب الأحيان.



كما أن طريقة السرد السينمائي والمشهدية والشخوص بحالتها الاجتماعية وانتمائها الأيديولوجي، وتناقض سلوكها مع



الأخلاقيات العامة لهذه الأيديولوجية هو ما جعلنا نفهم على نحو أكثر جلاءً رمزية العنوان من حيث فكرة المجتمع ذو الشكل الواحد، الذي يخل بنسيجه هؤلاء الشوارد.

استطاع الكاتب أن يظهر حيواتٍ مهمشين منغمسين حد الدوار في تناقضات الواقع والأيديولوجيا، في شكل روائي ينشغل تجريبيًا من ناحية اللغة والبنية. فقدم النص بجمالياته على اختلافاتها ما يقرب من شهادة أو عدسة أظهرت فئات ليست بقلية في المجتمع اللبناني. وهي فئات ليس لها صوت ولا حقوق. ومن خلال لغة هؤلاء، وقاموسهم الذي يمزج بين المحكية والفصحى والانجليزية والفرنسية أراد ذبيان صقل الأبعاد الفكرية والشعورية لشخصه، كجزء من نسيج واقعهم المصبوغ بالعنف والصخب الأيديولوجي، في حين أنهم كأفراد يكاد أحدهم يكون منسيًا.

الكاتب: محمود حسني